**كلية العلوم الانسانية والاجتماعية**

**قسم العلوم الاجتماعية**

**فرع علم الاجتماع**

**ملتقى: المدينة الجزائرية الواقع والتحديات**

**يومي 28 و 29 أكتوبر 2019**

**القطب الجامعي تامدة بتيزي وزو**

**الدكتورة: شعلال باهية**

**أستاذ محاضر أ**

**جامعة أكلي محند اولحاج بالبويرة**

**المحور6: مشكلات المدن الجزائرية**

**عنوان المداخلة: مشكلات المدن الجزائرية من المنظور السوسيولوجي – مقاربة واقع مشكلات المدينة الجزائرية و دراسات مدرسة شيكاغو-**

**الملخص**

قد تتأكد لدينا أهمية تناول ظاهرة التحضر انطلاقا من العلاقة بين البادية و المدينة، خاصة عند العلماء الرواد، الذين غالبا ما ينطلقون في حديثهم عن المدينة أو الظاهرة الحضارية، من مقارنتها مع البادية أو الظاهرة القروية، خاصة أن العلاقة بين القرية و المدينة تبرر الحديث من جهة عن الهجرة القروية كانتقال بشري من الأرياف إلى المدن قصد الإقامة و العمل.

و ما يتطلبه هذا الانخراط من تحولات و تغيرات تطرأ على " البدوي" و هو يتحول إلى " حضري" و هذا ما كان ابن خلدون يشير إليه دائما بتعبيره " التحضر" أو " التمدن"

لقد تعرض دوركايم في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي إلى تفسير عملية الانتقال من مجتمعات التضامن الآلي البسيطة إلى مجتمعات التضامن العضوي المعقدة، و تطرق إلى كيفية احتلال الإنسان للمجال، و أبرز كيف تتكدس أعدادا كبيرة من الناس في المدينة، و تتحقق بفعل ذلك كثافة مادية أكبر، الشيء الذي يجعل المدينة تمثل التنظيم الاجتماعي الأرقى و الأفضل و الأكثر تعقيدا بالنظر إلى ما نتيجة من تقسيم للعمل.

**لمحة عن مدرسة شيكاغو و دورها في الدراسات السوسيولوجية و الانتربولوجية:**

تشتهر مدرسة شيكاغو بالعمل في علم الاجتماعي الحضري و تطوير النهج التفاعلي الرمزي خاصة مع أعمال " هيربرت بلومر" الذي ركز على السلوك البشري الذي تشكله البنى الاجتماعية و العوامل البيئية المحيطة به و ليست الخصائص الجينية و الشخصية للفرد، و يرى أصحاب هذا التيار أن نظرية التطور جد مهمة باعتبار أن الحيوانات تتكيف مع بيئاتها، ( هذا الدليل) و يمكن تطبيق هذا على البشر كأفراد مسؤوليات عن مصائرهم الخاصة.

و تعتبر هذه المدرسة أن البيئة الطبيعية التي يسكنها المجتمع عامل رئيسي في تشكيل سلوك البشر، فالمدينة كمختبر مصغر نجد فيها جميع الطاقات البشرية، و نحن يمكننا مراقبتها و دراستها في علم الاجتماع و علم الجريمة كانت مدرسة شيكاغو( التي توصف أحيانا بأنها المدرسة البيئية) أول هيئة رسمية ظهرت خلال عشرينيات و ثلاثينيات القرن العشرين متخصصة في البحث في علم الاجتماع الحضري من خلال الجمع بين العمل الميداني النظري و الايثوغرافي في شيكاغو، في الوقت الذي يشارك فيه علماء العديد من جامعات منطقة شيكاغو، إذن نشأت مدرسة شيكاغو التي انتهجت منهجا علميا باستخدام الرمزية التفاعلية بالاقتران مع البحث الميداني(أي الاثنوغرافيا).

نشأت مدرسة شيكاغو في ظروف فكرية و اجتماعية خاصة جدا تمثلت في احتضان مدينة شيكاغو في نهاية القرن 19 لجامعة رائدة في كل مجالات العلم و المعرفة، و في حقل علم الاجتماع و الانثربولوجيا بشكل خاص، و في توجه رواد هذه المدرسة منذ البداية إلى البحث الميداني لرصد و دراسة مختلف التحولات الديمغرافية و الاقتصادية و الاجتماعية التي تعرفها مدينة استطاعت في ظرف خمسين عاما استقطاب أزيد من ثلاثة ملايين من المهاجرين القادمين من مختلف مناطق أمريكا و من الخارج بالخصوص كان لرواد مدرسة شيكاغو شرف الانتقال بعلم الاجتماع إلى حالة النظر العلمي الاستكشافي من خلال تأسيسهم لتقليد " البحث الميداني" في هذا العلم و تمكنهم من ابتكار و تطبيق أهم التقنيات المنهجية التي مازلنا نستعملها، خاصة الكيفية منها.

و ربما هذا ما جعل رواد هذه المدرسة و إتباعها يفضلون اعتبارها " تيارا ميتولوجيا" و مدرسة عملية تطبيقية أكثر منها تيارا نظريا أو مجرد فكرية، حتى و إن تواطأ مؤرخوا علم الاجتماع على تسميتها بمدرسة شيكاغو" و رغم اشتهار رواد المدرسة بتدشين البحث النظري في مجالي التحضر و الهجرة.

2- المدينة في فكر مدرسة شيكاغو:

إن مدرسة شيكاغو رغم أصالتها و انبثاقها في أحضان المؤسسة الجامعية الأمريكية الفتية، فهي لم تنشأ من فراغ لأن أعمال روادها تحيل على الفكر السوسيولوجي الحضري الأوربي، فالمدينة كما نعرفها اليوم عرفت إقلاعها في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، و هو الوقت نفسه الذي تم فيه اكتشاف" الاجتماعي" على يد أولئك العلماء الذين يعتبرونهم رواد السوسيولوجيا و التفكير السوسيولوجي في المدينة، بالرغم من أنهم لم يعطوها بعدا محوريا في أعمالهم[[1]](#footnote-2)

و قد تتأكد لدينا بعد ذلك أهمية تناول ظاهرة التحضر انطلاقا من العلاقة بين البادية و المدينة، خاصة عند العلماء الرواد، الذين غالبا ما ينطلقون في حديثهم عن المدينة أو الظاهرة الحضارية، من مقارنتها مع البادية أو الظاهرة القروية، خاصة أن العلاقة بين القرية و المدينة تبرر الحديث من جهة عن الهجرة القروية كانتقال بشري من الأرياف إلى المدن قصد الإقامة و العمل.

و ما يتطلبه هذا الانخراط من تحولات و تغيرات تطرأ على " البدوي" و هو يتحول إلى " حضري" و هذا ما كان ابن خلدون يشير إليه دائما بتعبيره " التحضر" أو " التمدن"

لقد تعرض دوركايم في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي إلى تفسير عملية الانتقال من مجتمعات التضامن الآلي البسيطة إلى مجتمعات التضامن العضوي المعقدة، و تطرق إلى كيفية احتلال الإنسان للمجال، و أبرز كيف تتكدس أعدادا كبيرة من الناس في المدينة، و تتحقق بفعل ذلك كثافة مادية أكبر، الشيء الذي يجعل المدينة تمثل التنظيم الاجتماعي الأرقى و الأفضل و الأكثر تعقيدا بالنظر إلى ما نتيجة من تقسيم للعمل.

إذن تأخذ المدينة الحديثة بالنسبة لدوركايم وضعا مفارقا، فهي بقدر ما تبدو كمظهر ملموس لنمط من التضامن العضوي و لطريقة من العيش المشترك، تمثل في الوقت نفسه ميدانا للفردانية، حيث يتحرر الفرد من جماعات انتمائه و مرجعياته الأصلية، و يشرع في بناء علاقات جديدة مع الآخر، تعاقدية، مختارة، و مفكر فيها و مجردة من طابعها الاشراطي.[[2]](#footnote-3)

- المدينة: إن علماء الاجتماع و الباحثين في مختلف التخصصات وضعوا للمدينة مجموعة من الصفات على نحو يحدد نمط وظائفها و خصائصها الحضرية باعتبار أن ظاهرة اجتماعية تتسم بالمحلية و تنوع أساليب الحياة فيها، و سنتطرق هنا إلى المدينة كمجتمع محلي، و أسلوب حياة، و كظاهرة اجتماعية.

أ- كمجتمع محلي: يرتبط مفهوم المجتمع المحلي بالأطر الوظيفية و المورفولوجية للحياة اليومية، فيعرفه " ماكيفر maciver" على أنه وحدة اجتماعية تجمع بين أعضائها مجموعة من المصالح المشتركة، و تسود بينهم قيم عامة، و شعور الانتماء بالدرجة التي تمكنهم من المشاركة في الظروف الأساسية كحياة مشتركة[[3]](#footnote-4)

ب- كأسلوب حياة: إذ يرتبط هنا مفهوم المدينة بتنوع أساليب الحياة فيها، حيث ارتبطت كما و كيفا بأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، الذي يختلف تماما عن أساليب التنظيم الاجتماعي الريفي، لذلك انطلق بعض الباحثين في تصوراتهم حول أنماط الحياة الحضرية من منظور الثنائيات الاجتماعية"

ج- كظاهرة اجتماعية: إن اعتبار الباحثين المدينة كظاهرة اجتماعية، يرجع إلى طبيعة ارتباط المدينة بالتنظيم الاجتماعي الوظيفي المتعدد الذي يأخذ أشكالا مختلفة من الأنماط المعيشية، تتراوح بين الأنماط التقليدية و المعاصرة،، و تتجلى في طبيعة مصارعة و توزيع الأفراد و نشاطاتهم الحياتية على امتداد المكان الذي يشغلونه.

مشكلات المدن: من النتائج التي ترتبت عنها المدن كمناطق تحضر جديدة نجد:

أ- مشكلات اقتصادية: حيث أن العيش في المدن يحتاج إلى تكاليف كبيرة و هذا ما يستدعيه تطور المدن و توفرها على خدمات مختلفة، حيث تمتلك المدينة أسواقا و سلعا أكثر مما تتوفر عليه المناطق الريفية و احتكار البنية التحتية، و ارتفاع التكاليف العامة، و بالرغم من ايجابياتها الكثيرة تبقى منطقة لعيش الطلقة البرجوازية التي تتحكم في المنطقة ما يساهم في وجود تكاليف ضخمة.

ب- مشكلات بيئية: المدن من المناطق الصناعية التي تهتم بزيادة الإنتاجية، بأي طريقة حتى لو كانت مؤذية، أو تؤثر بطريقة سلبية على البيئة المحيطة، كما نجد نقص فادح للغطاء النباتي في المدن و هذا يؤثر سلبا على البيئة إلى جانب الاستخدام الكثيف للسيارات حيث يصعب التنقل من منطقة إلى أخرى، ثم هناك تلوث ناتج عن عوادم السيارات و الضجيج الصادر منها.

ج- مشكلات صحية: لقد زادت معدلات الوفيات الناجمة عن الأمراض المعدية بسبب اكتظاظ السكان في المدن و الذي بدوره خلق أسلوب حياة غير نظيف و لا منتظم، خاصة الوفيات الناتجة عن حالات التسمم الغذائي.

1- مشكلات المدن المعاصرة:

عبر الحربين العالميتين سيطر النظام الرأسمالي على مقاليد الأمور و يمكن تقسيم الفترة الحديثة من منطق المشكلات الحضرية إلى ثلاث مراحل:

المرحلة 1: حيث انتشرت فيها الصناعة بشكل واضح مع ارتفاع الطلب و تدفق المواد الخام من المستعمرات ووجود أسواق واسعة نامية باستمرار بحيث أن المدينة الصناعية أفرزت كل عيوب الصناعة من تلوث لا آخر له.

المرحلة 2: و هي مرحلة الذروة الصناعية، و هي التي تلت الحرب العالمية الثانية، و اتسمت بظهور المؤسسات الصناعية العملاقة مثل فور و تويزتا و غيرهما، و احتلت الصناعة مدنا متجاورة، ثم أعقب ذلك محلة الشركات المتعددة الجنسيات كنتاج لظهور الثورة الصناعية فاستعت المدن الأوربية فتمركز حولها العديد من العمال و الموظفين بعد انتقالهم من الأرياف فتحولت المدينة إلى موطن لاقتصاد السوق و السلطة السياسية متجهة نحو بلورة العالم في تاريخ المدينة، و هذه المرحلة أحدثت أكبر تلوث بالكرة الأرضية حيث تغير مناخها كلية

المرحلة 3: و هي المرحلة الحالية حيث تطورت المدينة بعد التوسع الرأسمالي و التطور التكنولوجي و ظهور الشركات العابة للقارات و منظمات الدولية

لقد حدثت تغيرات في هيكلة المدن التي تتحكم في الاقتصاد العالمي مثل نيويورك-باريس-طوكيو-شيكاغو، و غيرها، حيث حدثت مايلي:

- هجرة الصناعة من قلب المدينة إلى هوامشها

- هجرة صناعات أخرى إلى أقاليم أخرى داخل نفس الدولة

- هجرة الصناعات إلى بلدان بعيدة

إذا المشكلات المعاصرة في الدول المتقدمة عانت منها وسط المدينة و ذلك من عواقب تحول المدن من فترة الصناعة إلى ما بعد الصناعة، و هنا توجد العديد من المشكلات منها:

- المشكلات المالية

- نمو السكان

- تلوث الهواء

- مشكلات المرور

- التنوع العرقي(ما يولد العنصرية)

- الفقر

- الجرائم

أ- واقع مشكلات المدينة الجزائرية:

- الزحف العمراني: حيث توسعت المنشات العمرانية على حساب الأراضي الخصبة التي كانت مخصصة لاستغلال و الإنتاج الزراعي.

- يعتبر من المشاكل العويصة التي تواجه القطاع الزراعي و تهدده بتقلص مساحته الصالحة، و بقدر ما يخفف هذا الزحف على اكتظاظ الأرياف فإنه أيضا يزيد توسعا على حساب الأراضي الخصبة و حتى تلك المخصصة للأشجار المثمرة.

- يعتبر توسع النشاط الصناعي في المدن من أهم ما يجذب السكان إلى السكن فيها و تعميرها، حيث أدت جهود التنمية الصناعية إلى إنجاز عدة منشات و مركبات صناعية بملاحقاتها الصناعية و العمرانية و الخدماتية و حتى إحداث مناطق صناعية أدى إلى إلتمام مئات الهكتارات مثل مركب الحديد و الصلب في الحجار و منطقة الرويبة و أرزيو.

- توسع شبكة المواصلات أيضا نتيجة التوسع العمراني و الصناعي إلى توسع طرق طرق المواصلات و تحديثها مثل الطريق المزدوج بين المدن الكبرى و إنشاء مطارات جديدة و توسيع البعض منها.

- تضخم عدد سكان المدن الذي أدى إلى النمو الديموغرافي من جهة و النزوح الريفي من جهة أخرى، و من ثمة أصبح من الضروري إنشاء مدن جديدة أحيانا للتخفيف من أزمة السكن و ضغط المدن.

- ظهور الأحياء القصديرية نتيجة النزوح الريفي و تعاظم أزمة السكن فيقومون بالبناء الفوضوي على أطراف المدن و غالبا في الأراضي الزراعية.

**بعض الحلول:**

- العمل على تطوير المركبات و المحركات و تقليل الغازات المنبعثة منها.

- تحويل الفجوة بين الفقراء و الأغنياء و توفير الاحتياجات الأساسية لهم و عدالة فرص العمل للتقليل من الجريمة و ظاهرة التشرد.

- اتجهت بعض الدول المتقدمة مثل بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنشاء مدن جديدة و جذب السكان لتخفيف الضغط على المدن الكبرى[[4]](#footnote-5)

ب- مشكلات المدينة حسب مدرسة شيكاغو:

بالنسبة لمدرسة شيكاغو فإن مشكلات المدينة يمكننا حصرها لأنها جد واضحة، باعتبارنا نتعايش معها يوميا منذ اكتست المدينة أهميتها بالتالي يمكننا الإشارة إلى أهم هذه المشكلات حسب مدرسة شيكاغو:

- باعتبار أن المدينة مركز استقطاب للمهاجرين في الو.م.أ خلال النصف الثاني من القرن 12، سواء مهاجرون ريفيون من وسط الغرب الأمريكي أو ذلك العدد الكبير من المهاجرين الأجانب و أغلبهم من أوربا.

- طبيعة البيئة الاجتماعية للمدينة، حيث أن لهذه الأخيرة خصائص و مميزات تفرض نفسها على السكان و بالتالي يجد المهاجرون أنفسهم تحت ضغوط حياة و بيئة جديدة تصعب عليهم التكيف.

- مسالة دمج المهاجرين إلى المدن تثير الكثير من التساؤلات، بين منحهم نفس امتيازات السكان الأصليين، و العمل على ايقاف موجة النزوح و الهجرة هذه.

- تؤدي الهجرة حسب مدرسة شيكاغو إلى اختلال النظام الاجتماعي، حيث أن القوانين الاجتماعية فقدت فاعليتها في بعض الظروف، إلا أن هذه حالة مؤقتة بمعنى أنها حالة انتقالية، فمثلا ستصاب الأسرة الريفية بخلل ما عندما تتسرب إليها ممارسات جديدة في الاستهلاك و قيم جديدة تغير من السلوك الاقتصادي.

- تستمر مدرسة شيكاغو حول مفهوم الجريمة أو نسبة الإجرام و الانحراف بين الشبان، فتاريخ الجريمة بشيكاغو موسوم بأمواج المهاجرين المتوالية التي اجتاحت المدينة و استقرت فيها.

1. .jean marc stébé et horve marchal.sociologie urbaine.ed armad solin .paris.2010.p11 [↑](#footnote-ref-2)
2. .د. عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة، افريقيا الشرق،2019، ط2. [↑](#footnote-ref-3)
3. . فيرة اسماعيل، علم الاجتماع الحضري و نظرياته، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،2004، ص 16 [↑](#footnote-ref-4)
4. . مشكلات المدن في العالم المتقدم، رضا قسم السيد. [↑](#footnote-ref-5)